من صورة الانسان الجديد الذي نريده بدءا من تراث ولكنه كله وليد هـذا التوثب المستمر الذي نسميه ثورة . فلسطين فيه بناؤنا للانسان المشرقي وسعي البناء والقيامة التي اليها نتوق تصنع حاضرنا وتنقلنا الى التحرك السياسي . الثورة ، من هذا المنظار ، ليست مداميك تتراكم فوق البنيان العربي القديم ولكنها قوة جديدة مبثوثة في البناية كلها او هي معنى البناية . المستقبل قراءتنا للماضي وتقويمه ، خلقنا له . فعلى قدر ما تكون الثورة حبلى بالانسان القيّم فهي حرة من كل ما كان ، فيما سلف ، ركاما . الجدة لا تجتر . الجديد موصول ولكنه خلق ، توتر يتأهب للانفجار .

في الطرف الاخير السلفية التي تعاود كالوباء وتفتك ايما فتك لكونها تقينا مغامرة الفكر . والعقل يستطيب عصوره الذهبية او ما ظنه كذلك . وسيان بين هذه العصور والجاهليات اذا استعبدتنا . والسلفية كالوحش الرابض في الكلمة العربية لانها مغرية حتى النشوة . والنماذج العقلية الموروثة في الحضارة والسياسة يستبقيها الجمود بعد ان يملّ الانسان الابداع . والابداع مسؤولية تضني .

وجوهنا الى عربة تبدع نفسها وانسانها الخيّر في تغيير وجداني دائم ولكنه تغيير يعرف أصوله ويؤول الى ينابيعه . أمامنا فلسطين قبلة الوجود يطفر من موت . فاذا عاد ابناؤها الى أرضهم فانما نعود جميعا الى الطفولة والطراوة وضياء الشهود . اذ ذاك نكتشف حريتنا ومضمونها .

هذه العربة الحضارية ليست بداوة وبكاء على اطلال ولا هي تقليد الغرب واستيراد أنماطه . عروبة القرن الماضي ذهلتها أوروبا وعقدتها فكان علينا ان نحدد انفسنا بالنسبة الى الغرب ان نحذو حذوه او نرفضه او نتحير بين هذا وذاك لان الغرب كان العالم .

لقد اكتشفنا اليوم اننا نحن أيضا بعض هذا العالم او قادرون ان نصيره . والصمود نبهنا الى مصيرنا ولكنا لم نكتشف حتى الآن كل عناصر هويتنا . لاحظنا كثرتنا وطاقاتنا ومشاركتنا العالم الثالث وامكان تحرر لنا عن طريق الطاقة والثروة . ولكن هذه كلها وعود صيرورة . ان الارتقاء الى انسانية عربية خلاقة ، كبيرة المعرفة وتعهد نفسها والعالم لم يحدث لاننا لم ندخل بعد في نقد للتراث العربي جذري ولم نصل الى الكليـة العضوية التي تمكننا من ان نتبصر بارتياح الى مختلف جوانب حياتنا التاريخية بما فيها من موروث واطلالة ، من عتاقة لا بد ان تبيد ومن جدة منقذة .

المعرفة التي هي رؤية ونفاذ ويقين هي ايضا فعل يتمم المحبة والتزام لارضنا ينطح السماء . هذا اللون من المعرفة دائما جديد وهو وحده الذي يضمن التعايش بين أديانا الثلاثة لقاء صدق بين أتباعها ولقاء أعماق ويجعل العلمانية التي نتطلع اليها في فلسطين المستقبل علمانية تختلف كثيرا عن تلك التي انبثقت في الغرب فكانت تجاهلا لايمان الناس وفصاما بين الوحي الهابط عليهم من جهة ووسائل عيشهم وبنية الامة من جهة أخرى . العرب لا يؤمنون بأمة لا عقيدة لها والعلمانية ليست بعقيدة. انها نمط الحرية ولكنها ليست ذات مضمون . وعندنا ان الوجود كله هو الله وان الالحاد جفاف ، جيفة هذه الحضارة الغربية الذهنية ، المتفككة التي فقدت روحها أو كادت . هـذه العقلانية المنعزلة ، الموحشة للنفس ، التي تأبى الشعر والعبادة ، القتالة للوجد لن تدوم . فالتطلع كان دائما شيئا عاموديا . فقبل ان يمد الانسان نظره الى فوق كان